

وحافظ يريد بالسُّفر كتاب قاسم أمين: «تحرير المرأة». وواضح أنه في القصيدة لا ينتصر له ولدعوته فقط بل يثور ثورة عنيفة ضدَّ خصومه ساخرًا منهم سخرية شديدة.

ولعله قد اتَّضح ما هيّا حافظ لمصر من حظ أو حظوظ في زعامة النهضة الشعرية الحديثة، فقد كان سابقًا مجليًا لشعراء العربية في كثير من الأغراض الشعرية: في منزعه الاجتماعي ووقوفه مع قاسم أمين ودفاعه عنه، وكذلك في وقوفه مع الإمام محمد عبده ودعوته الدينية الإصلاحية، وفي منزعه الإسلامي بعامة، وأيضًا في منزعه الشرقي والعربي والوطني الثائر في مواجهة الغرب واستعمار البغيض.

٤

ونفض مع حافظ لمصر بهذه الزعامة شوقي، وقد ولد قبله بنحو عامين لأسرة مترفة كانت تعيش بباب الخديو إسماعيل، كما يقول في بعض شعره. وبذلك لم يعرف شيئًا في نشأته من شظف الحياة كما عرف حافظ، وأظلت الرفاهية بقية حياته. واختلف - منذ نعومة أظفاره - إلى المدارس، وأخذت تستيقظ موهبته الشعرية في نفسه مبكرة وهو لا يزال دون منتصف العقد الثاني من حياته، حتى إذا أتم تعليمه الثانوى التحق بمدرسة الحقوق لدراسة القانون، ولم يلبث فيها أن التحق بقسم الترجمة وتخرج فيه سنة ١٨٨٧، وكان قد أخذ يشدو بمدائح توفيق فعين أباه عليًا مفتشًا في الخاصة الخديوية، وعينه بعده، ثم رأى أن يرسله إلى فرنسا ليكمل دراسة القانون. وهناك التحق شوقي بمدرسة الحقوق في مونبلييه، وظل بها عامين. وأتيح له زيارة إنجلترا ولندن، وأكمل دراسته بباريس، وحصل منها بعد عام على إجازته النهائية، ومكث بعد حصوله عليها يختلف إلى مسارح باريس نحو ستة أشهر. ولا شك في أنه كان يكبّ على مشاهدة تلك المسارح مما جعله يؤلف الصورة الأولى لمسرحية على بك الكبير، وأيضًا كان يكبّ على قراءة الآداب الفرنسية مما جعله يترجم قصيدة البحيرة للامرتين. وعاد شوقي إلى مصر